الصهيونية في التوراة

د. محمود عزالدين
مدرس سابق في قسم الرياضيات – كلية العلوم – جامعة دمشق

أُعلنت الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعُقد في مدينة باسل في سويسرا في نهاية القرن التاسع عشر (1897)، والذي حضره حكماء صهيون من جميع أنحاء العالم بزعامة الصحفي النمساوي تيدور هرتسل.

الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري استنادا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 3379، الذي أُعتمد في 10-11-1975. وطالب القرار جميع دول العالم بمقاومة الأيديولوجية الصهيونية التي تشكل – حسب القرار – خطرا على الأمن والسلم العالميين. أُلغي هذا القرار بموجب القرار 86/46 يوم 16-12-1991 كشرط للكيان الصهيوني لحضور مؤتمر مدريد للسلام بين سوريا ولبنان والأردن من جهة والكيان الصهيوني من الجهة الأخرى في نهاية القرن الماضي (1991). وكان المؤتمر مكافأة للدول العربية التي خاضت الحرب لجانب دول التحالف ضد العراق لتحرير الكويت. لم يخرج عن ذلك المؤتمر سوى إلغاء ذلك القرار، وحتى قبل انعقاده كما ذكرت.

الصهيونية من صهيون، وصهيون هو كلمة عبرية معناها الحصن، واختلف مفهوم مصطلح صهيون خلال الأحقاب الزمنية. ذُكر صهيون لأول مرة في العهد القديم للرمز لجبل كان عليه حصن لليبوسيين وقع في يد العبرانيين في زمن داود (صموئيل الثاني،7:5) و(أخبار الأيام الأول،5:11) ووضِع عليه تابوت العهد فأصبح أرضا مقدسة (صموئيل الثاني،6:10-12). وبعد بناء هيكل سليمان على جبل المريا نقل التابوت إليه (ملوك الأول،8:1) و(أخبار الأيام الثاني،3:1) و(أخبار الأيام الثاني،5:22)، حيث كانت مدينة أورشليم مقامة على جبليها الوحيدين "جبل صهيون وجبل المريا"، فأصبح مفهوم مصطلح صهيون يشمل جبل المريا أيضا، حيث مقام هيكل سليمان (اشعياء،8:18) و(اشعياء،18:7) و(اشعياء،24:23) و(يوحنا،3:17). لهذا ذُكر صهيون مائتان مرة في العهد القديم بينما لم يُذكر المريا سوى مرتين فقط (التكوين،22:2) و(أخبار الأيام الثاني،3:1). ثم أضحى مفهوم مصطلح صهيون في العهد القديم يرمز لمدينة أورشليم (ملوك الثاني، 19:21) و(مزامير،48) و(مزامير،69:35) و(مزامير،133:3) و(اشعياء،1:8). أما في زمن المكابيين عُرف صهيون بأنه جبل المريا المقام عليه هيكل سليمان فقط وليس مدينة أورشليم (مكابيين الأول،7:32) و(مكابيين الأول،7:333). صهيون أو جبل صهيون "جبل داود" في اليهودية هو مكان الله "يهوه"، وبالنسبة لليهود هو وطن العبرانيين ورمزا لآمالهم القومية، فهدف الصهيونية هو جمع يهود العالم في فلسطين "أرض الميعاد".

واضح أن الصهيونية ليست وليدة المؤتمر الصهيوني الأول في نهاية القرن التاسع عشر (1897)، وإنما هي موجودة منذ استولى العبرانيون على حصن اليبوسيين في زمن داود. وسأبين في هذه المخطوطة أن الصهيونية في التوراة.

تفاديا لسوء الفهم أحبذ الاتفاق على المفاهيم والمصطلحات التي سأستخدمها في هذه المخطوطة. فقد يكون فهمي لها مغايرا للفهم العام لها، رغم أنها مفاهيم ومصطلحات معروفة لا جديد فيها على الإطلاق. تُصنف هذه المفاهيم والمصطلحات في موضوعين رئيسيين. الموضوع الأول: تعاريف الله في الكتب السماوية الثلاثة، والاختلافات الجوهرية فيما بينها. الموضوع الثاني: مصادر الكتب السماوية الثلاثة.

الله .. يدعو أصحاب الكتب السماوية الثلاثة أنفسهم بـ"الموحّدين"، ويقصدون بذلك أنهم أصحاب "إله واحد". ومن غير الواضح إن كانوا يعنون بذلك أن أصحاب كل كتاب من هذه الكتب الثلاثة يؤمنون بـ"إله وحيد"، إله وحيد لليهود، وإله وحيد للمسيحيين، وإله وحيد للمسلمين؛ أم يعنون بذلك أن أصحاب هذه الكتب الثلاثة يؤمنون بـ"إله واحد"، إله اليهود هو ذاته إله المسيحيين وهو ذاته إله المسلمين. حيث يختلف تعريف الله فيما بين الكتب السماوية الثلاثة. سأتحدث في الفقرات التالية عن هذه التعاريف والاختلافات الجوهرية فيما بينها.

الله في التوراة .. الله حسب التوراة هو إله إسرائيل "ذُكر إله إسرائيل في التوراة وملحقاتها مائتان مرة"، وإله إسرائيل هو "إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب"، استنادا لما ورد في التوراة: "وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب. انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى. فقال هاأنذا. فقال لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذائك من رجليك. لان الموضع الذي أنت واقف عليه ارض مقدسة. ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله (الخروج3:1-6)".

فجوات .. ورد في التوراة في ذُرّية إبراهيم: "وعاد إبراهيم فاخذ زوجة اسمها قطورة. فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا. وولد يقشان شبا ودان. وكان بنو دان اشوريم ولطوشيم ولاميم. وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعة. جميع هؤلاء بنو قطورة. وأعطى ابر أهيم إسحاق كل ما كان له. وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقا إلى ارض المشرق وهو بعد حي. وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها. مائة وخمس وسبعون

سنة. واسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعان أياما وانضم إلى قومه. ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي أمام ممرا. الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث. هناك دفن إبراهيم وسارة آمراته. وكان بعد موت إبراهيم أن الله بارك إسحاق ابنه. وسكن إسحاق عند بئر لحي رئي. وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم. وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة. هؤلاء هم بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم. اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم. وهذه سنو حياة إسماعيل. مائة وسبع وثلاثون سنة. واسلم روحه ومات وانضم إلى قومه. وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع اخوته نزل. وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم. ولد إبراهيم إسحاق. وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي أخت لابان الآرامي من فدان أرام. وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا. فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته. وتزاحم الولدان في بطنها. فقالت إن كان هكذا فلماذا أنا. فمضت لتسال الرب. فقال لها الرب في بطنك أمّتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير. فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان. فخرج الأول احمر. كله كفروة شعر. فدعوا اسمه عيسو. وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما فكبر الغلامان. وكان عيسو إنسانا يعرف الصيد إنسان البرية ويعقوب إنسانا كاملا يسكن الخيام. فاحب إسحاق عيسو لان في فمه صيدا. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب. وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا. فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت. لذلك دعي اسمه أدوم. فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك. فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية. فقال يعقوب احلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب. فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس. فأكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية (التكوين25:1-34)".

استنادا للنص السابق توجد ثلاثة فروع لذُرّية إبراهيم. الفرع الأول هو إسماعيل "الابن الأول لإبراهيم، وهو من هاجر" وذُرّيته. الفرع الثاني هو إسحاق "الابن الثاني لإبراهيم، وهو من سارة" وذُرّيته. الفرع الثالث هو زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا "أبناء إبراهيم من قطورة" وذُرّياتهم. وللفرع الثاني شطرين. الشطر الأول هو عيسو "الابن الأول لإسحاق" وذُرّيته. الشطر الثاني هو يعقوب "الابن الثاني لإسحاق" وذُرّيته. يعقوب هو إسرائيل، وذُرّيته هي بنو إسرائيل، استنادا لما ورد في التوراة: "فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت (التكوين32:28)".

واستنادا للنص الأسبق تنشأ ثلاث فجوات في آلهة ذُرّية إبراهيم. الفجوة الأولى: مَن هو إله إسماعيل وذُرّيته؟ الفجوة الثانية: مَن هو إله عيسو وذُرّيته؟ الفجوة الثالثة: مَن هو إله زمران ويقشان ومدان ومديان

ويشباق وشوحا وذُرّياتهم؟ حيث اختيار إله إسرائيل: إبراهيم، والابن الثاني لإبراهيم "إسحاق"، والابن الثاني لإسحاق "يعقوب"، وذُرّية يعقوب "بنو إسرائيل"، ليكون إله لهم؛ وتخلّى عن الابن الأول لإبراهيم "إسماعيل" وذُرّيته، وعن الابن الأول لإسحاق "عيسو" وذُرّيته، وعن بقية أبناء إبراهيم "زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا" وذُرّياتهم. ربما لهذا الاختيار يدعى بنو إسرائيل بـ"شعب الله المختار".

ورد في القرآن في موضعين وبنفس النص: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالَمين (البقرة،47) و(البقرة،122)". ربما يكون القول "وأني اخترتكم من بين العالَمين" أكثر تطابقا مع نصوص التوراة من القول "وأني فضلتكم على العالَمين".

تساؤل .. ربما يمكن تقبّل تفضيل إسحاق على إسماعيل، لأن إسحاق هو ابن سارة "زوجة إبراهيم" بينما إسماعيل هو ابن هاجر "جارية سارة"، لكن كيف يمكن تقبّل تفضيل يعقوب على عيسو، وهما توأم؟

آلهة أخرى .. تُلمّح التوراة لوجود آلهة أخرى، حيث ذُكر آلهتهم في التوراة وملحقاتها خمس وعشرون مرة، كما في النص التالي: "احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض. فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتآكل من ذبيحتهم (الخروج،34:15-16)".

الله في الإنجيل .. ذُكر الله في الإنجيل وملحقاته ألف وأثنى عشرة مرة، ولم يُذكر إله إسرائيل مطلقا. فهل الله في الإنجيل غير إله إسرائيل في التوراة؟ قول المسيح "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل (متى،5:17)" يوحي على أن الله في الإنجيل هو إله إسرائيل في التوراة.

يختلف الله في الإنجيل عن إله إسرائيل في التوراة. أولا: لم يقتصر الله في الإنجيل ألوهيته على "إبراهيم وإسحاق ويعقوب". ثانيا: الله في الإنجيل ثلاثة أقاليم "الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس". حيث ورد في الإنجيل: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السماوات قد انفتحت له فرى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه. وصوت من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (متى،3:16-17)". وتفسير الكتاب المقدس: "الله الآب" تكلم، و"الله الابن" اعتمد، و"الله الروح القدس" نزل على يسوع.

المسيح "يسوع" هو الله الابن في الإنجيل، كقول المسيح: "كل شيء قد دفع إلي من أبي. وليس أحد يعرف الابن إلا الأب. ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له (متى،11:27)". سأدعو الله في الإنجيل بـ"الله الثالوث"، وذلك لتميّزه عن الله في القرآن.

الله في القرآن .. ذُكر في القرآن: "نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (آل عمران،3)". وهذا يوحي على أن الله في القرآن هو إله إسرائيل في التوراة، وهو الله الثالوث في الإنجيل.

يختلف الله في القرآن عن إله إسرائيل في التوراة. فقد ورد في القرآن: "وقال موسى يا فرعون إني رسول

من رب العالَمين (الأعراف،104)". فالقرآن يطلق ألوهية الرب على جميع الشعوب "العالَمين". بينما ورد في التوراة: "وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية (الخروج،1:5)". فالتوراة تقتصر ألوهية الرب على شعب بعينه "بنو إسرائيل" دون سواه من الشعوب.

ويختلف الله في القرآن عن الله الثالوث في الإنجيل. فقد ورد في القرآن: "قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد (الإخلاص،1-4)". وهذا نفي واضح لوجود ثلاثة أقاليم لله.

الله في القرآن وحيد، كما في النص التالي: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم (البقرة، 255)". بينما تُلمّح التوراة لوجود آلهة أخرى، كما في النص التالي: "احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض. فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لألهتهم فتدعى وتآكل من ذبيحتهم (الخروج،34:15-16)".

إبراهيم الخليل .. الخليل معناها لغويا الحبيب أو الصديق، ولا أعلم لماذا يلصق المسلمون هذه الصفة بإبراهيم. فليس لله من وجهة نظر المسلمين ولد "كما يعتقد المسيحيون" وإنما له حبيب وصديق هو إبراهيم.
يُروى عن إبراهيم من وجهة نظر المسلمين قصة بما معناها: أن إبراهيم استيقظ أحد الأيام باكرا وذهب إلى المعبد، حيث تنتصب فيه جميع أصنام قومه، التي كانت بمثابة آلهة بالنسبة لهم. فقام إبراهيم بتحطيم الأصنام كلها وترك كبيرها، ثم وضع الفأس الذي حطم به بقية الأصنام على كتف كبيرها، وعاد إلى بيته وكأن شيئا لم يكن.
عندما أستيقظ قومه وعلموا بالأمر أحضروا إبراهيم إلى المعبد، وسألوه: لماذا فعل ذلك؟ كان جواب إبراهيم: إن كبير الآلهة فعل ذلك، فالفأس لازال على كتفه، لماذا لا تسألوه؟ استهزأ القوم من جواب إبراهيم وقالوا له: كيف لصنم أن يفعل ذلك. عندها سأل إبراهيم قومه: إذا كانت هذه الآلهة لا تستطيع الدفاع عن نفسها فيكف يمكن لها نفعكم أو ضركم؟ وبدلا من أن يجيب القوم على سؤال إبراهيم جمعوا الحطب وأوقده ليلقوا إبراهيم به. فنزل قول الله: "يا نارا كوني بردا وسلاما على إبراهيم". لم أجد هذه القصة أو ما يشبهها في أيٍّ من الكتب السماوية الثلاثة، إنما التفاف القوم عن إجابة إبراهيم على سؤاله ينسجم تماما مع منطق الكتب السماوية.
العبرة من هذه القصة هي في سؤال إبراهيم لقومه: إذا كانت هذه الآلهة لا تستطيع الدفاع عن نفسها فكيف يمكن لها نفعكم أو ضركم؟ وبما أن هذه القصة للعبّرة "للوصول إلى الحقيقة" سأحاول أن أعتبر منها "للوصول إلى الحقيقة" وأطرح التساؤلات التالية:
لو كان إبراهيم قد عاصر إحراق الكعبة في المرتين في عصر بني أميه، وسأله أحد المعاصرين في المرتين: لماذا لم يدافع "خليلك" عن بيته "الكعبة"؟ فماذا سيكون جواب "الخليل"؟
لو كان إبراهيم قد عاصر إحراق ركن المسجد الأقصى في العصر الحالي، وسأله أحد المعاصرين: لماذا لم

يدافع "خليلك" عن بيته "المسجد الأقصى"؟ فماذا سيكون جواب "الخليل"؟
لو كان إبراهيم قد عاصر قتل خمس وأربعين مصليا أثناء صلاتهم في مسجده "مسجد إبراهيم، حيث يوجد مقامه" في مدينته "مدينة الخليل"، وسأله أحد الناجين من القتل: لماذا لم يدافع "خليلك" عن بيته، وعن مقامك في بيته، وعن عباده المصلين؟ فماذا سيكون جواب "الخليل"؟
لو كان إبراهيم قد عاصر قصف المساجد فوق رؤوس المصلين في سوريا، وسأله أحد هؤلاء المصلين: لماذا لا يدافع "خليلك" عن بيوته وعن عباده المصلين؟ فماذا سيكون جواب "الخليل"؟
عندما التقي إبراهيم سأذكّره بسؤاله لقومه وأسأله: عن الفرق بين سؤاله لقومه والأسئلة التي كان من الممكن أن توجه إليه في حال معاصرته تلك الأحداث؟ وسأسأله باسم جميع تلك الضحايا: هل لازال "خليلك" – بعد تقاعسه هذا كله – خليلك أم بحثت عن خليل آخر "يُحرّك ساكنا"؟

مصادر الكتب السماوية .. استنادا للفقرات السابقة لا يمكن الجزم بأن الله في التوراة هو ذاته الله في الإنجيل وهو ذاته الله في القرآن. وهذا يطرح التساؤل عن مصادر الكتب السماوية الثلاثة. سأتحدث في الفقرات التالية عن بعض ما أعرفه في هذا المجال.

مصدر التوراة .. مَن كتب التوراة؟ ومتى كُتبت؟ وأين كُتبت؟ سمعت صدفة أن التوراة قد كُتبت في بابل أثناء سبي البابليين لليهود، وأنه توجد أبحاث أكاديمية في هذا المجال. أضعت جهدا ووقتا على مدى عقدين من الزمن في البحث عنها دون جدوى. كان لمجرد وجود هذه الأبحاث الفضل في شكي في كل ما تلقّنته عن الكتب السماوية.

مصدر الإنجيل .. يتألف الإنجيل في الكتاب المقدس من أربعة أناجيل: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا. وهناك أناجيل أخرى ليست في الكتاب المقدس كإنجيل برنابا، وإنجيل يهوذا، وإنجيل شيطاني، وإنجيل الإبيونيين، وإنجيل العبرانيين.
كما يتضح من أسماء الأناجيل أنها كُتبت من قِبل هؤلاء الأشخاص. والمُسلم به عند أصحاب الأناجيل أنها ليست تنزيل من عند الله. لهذا لم تثر فضولي لمعرفة متى كُتبت وأين كُتبت.

مصدر القرآن .. ذُكر في القرآن النص التالي: "نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (آل عمران،3)". فالقرآن يذكر أنه تنزيل من عند الله. ومن المعروف أن آيات القرآن قد كُتبت حال نزولها، وقد بُدأ بجمعها بعد وفاة الرسول بأقل من عامين، وانتهى جمعها بعد أقل من اثنا وعشرين عاما. فجُمع القرآن بعد وفاة الرسول بفترة زمنية تقل عن أربع وعشرين عاما.

هناك معتقدان للمسلمين فيما يخص التوراة والإنجيل لا يتفقان مع معتقدات أصحاب التوراة والإنجيل.
المعتقد الأول .. ذُكر في القرآن: "نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (آل

عمران،3)". إذاً التوراة والإنجيل تنزيل من عند الله حسب القرآن.
المعتقد الثاني .. يعتبر المسلمون أن التوراة والإنجيل "الحاليين" محرّفين عن الكتابين "السماويين"، ربما بسبب النص القرآني: "وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (الصف،6)". فيعتقد المسلمون استنادا لهذا النص أنه لا بد من وجود نص في الإنجيل "السماوي" في هذا المعنى، وهو غير موجود في أيٍّ من الأناجيل الأربعة "الحالية" في الكتاب المقدس، لذا يعتقدون أنه لا بد من أن تكون هذه الأناجيل محرّفة.

اللوح المحفوظ .. إذا كانت الكتب السماوية من عند الله، وإذا كان نزول الإنجيل بعد ألف وخمس مائة سنة من نزول التوراة، وإذا كان نزول القرآن بعد ست مائة سنة من نزول الإنجيل، وإذا كان اليوم عند الله بألف سنة مما نعد "استنادا للقرآن"، فنزلت الكتب السماوية الثلاثة خلال مدة يومين ونيف "حسب توقيت الله"، فلماذا كل هذه الاختلافات فيما بين تلك الكتب؟
ربما يكون يومين ونيف "حسب توقيت الله" مدة طويلة بالنسبة لله، فقد خلق الله السماوات والأرض وما بينها في ستة أيام "حسب التوراة والقرآن". لكن يبقى السؤال مطروحا بالنسبة للقرآن. فقد نزل القرآن خلال مدة ثلاث وعشرون سنة، وخلال فترة أقل من تلك المدة حتما نزلت جميع الآيات الناسخة "للآيات المنسوخة". وإذا كان نظام التوقيت عند الله يشبه نظام التوقيت عند البشر فيكون الله قد غيّر أقواله عدة مرات "تطابق عدد الآيات الناسخة" خلال نصف ساعة "حسب توقيته". هل كانت تلك التغيرات طبقا للّوح المحفوظ، حيث ورد في القرآن: "بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ (البروج،21-22)"؟

الإعجاز العلمي .. الإعجاز العلمي في مفهوم أصحاب تلك المعتقدات هو تفسير نص ما من نصوص كتبهم السماوية بشكل يوحي أن ذلك النص يُشير لقانون طبيعي اُكتشف بعد نزول كتبهم. ويعتبرون ذلك التفسير إثباتا لصحة معتقداتهم، وبعضهم يعتبره دليلا على نزول كتبهم من عند الله، لأن الله وحده مَن كان يعلم بهذا القانون قبل اكتشافه. ومن المعروف أن اكتشاف قانون طبيعي ما مرتبط بالظروف العلمية والتقنية لعصر اكتشافه، فقد يأتي عصر يُثبت فيه بطلان قانون طبيعي كان قد اُكتشف في عصر سابق بعلوم وتقنية ذلك العصر.
تساؤل .. إذا فرضنا أنه تم اكتشاف قانون طبيعي ما في عصر ما، وإذا فرضنا أنه يوجد نص ما في كتاب سماوي ما يمكن تفسيره أنه يوحي بشكل ما لوجود هذا القانون الطبيعي، فماذا سيفعل أصحاب ذلك الكتاب السماوي بتفسيرهم لذلك النص في حال إثبات بطلان ذلك القانون؟

الصهيونية في التوراة

ما إن انتهى إله إسرائيل من خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع حتى تفرّغَ لسلسلة المواثيق والعهود مع آباء إسرائيل وأحفاده دون استراحة.

الميثاق .. قطع إله إسرائيل مع إبراهيم ميثاقا بإعطاء نسله الأرض من نهر الفرات إلى نهر النيل، حيث ورد في التوراة: "ثم غابت الشمس فصارت العتمة. وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا. لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين (التكوين15:17-21)". وجدت في الكتاب المقدس كلمة "أرض" قبل كلمة "القينيين". إذاً الميثاق هو إعطاء نسل إبراهيم أرض جميع تلك الأقوام.

العهد .. عَهِدَ إله إسرائيل لإبراهيم في إنجاب سارة ولدا اسمه إسحاق، حيث ورد في التوراة: "ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا. فأجعل عهدي بيني وبينك أكثرك كثيرا جدا. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا. أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم. وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي. وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون. فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة. وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم. فاخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه. وكل رجال

بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه. وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فاخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون. لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا. اعجني واصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر واخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا. وقالوا له أين سارة امرأتك. فقال ها هي في الخيمة. فقال إني ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة ابعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت. هل يستحيل على الرب شيء. في الميعاد ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة لم اضحك. لأنها خافت فقال لا بل ضحكت (التكوين17) و(التكوين18:1-15)".

ملاحظة .. إذا كانت نصوص التوراة مرتبة حسب التسلسل التاريخي للأحداث فإن الميثاق مع إبراهيم بإعطاء نسله الأرض من نهر الفرات إلى نهر النيل كان قبل العهد لإبراهيم في إنجاب سارة ولدا اسمه إسحاق. إذاً نسل إبراهيم كان مؤلفا من إسماعيل فقط. وهذا معناه "منطقيا" أن المقصود بالميثاق هو إسماعيل.

عنصرية إبراهيم .. ورد في التوراة: "وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام. وبارك الرب إبراهيم في كل شيء. وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له.ضع يدك تحت فخذي. فاستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم. بل إلى أرضي والى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق. فقال له العبد ربما لا تشاء المرأة أن تتبعني إلى هذه الأرض. هل ارجع بابنك إلى الأرض التي خرجت منها. فقال له إبراهيم احترز من أن ترجع بابني إلى هناك. الرب إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني والذي اقسم لي قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك. وان لم تشأ المرأة أن تتبعك تبرأت من حلفي هذا. أما ابني فلا ترجع به إلى هناك. فوضع العبد يده تحت فخذ إبراهيم مولاه وحلف له على هذا الأمر (التكوين24:1-9)". تصوروا عنصرية إبراهيم اتجاه الكنعانيين وهو يسكن في أرضهم.

تأكيد لموسى على الميثاق .. أكّد إله إسرائيل لموسى على الميثاق مع إبراهيم، حيث ورد في التوراة: "وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذ العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى. فقال هانذا. فقال لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذائك من رجليك. لان الموضع الذي أنت واقف عليه ارض مقدسة ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب.فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من اجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبنا وعسلا. إلى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين (الخروج3:1-8)".

تأكيد موسى لقومه على الميثاق .. أكّد موسى لقومه على الميثاق مع إبراهيم، حيث ورد في التوراة: "وكلم الرب موسى قائلا. قدس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس ومن البهائم. إنه لي. وقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي فيه خرجتم من مصر من بيت العبودية. فانه بيد قوية أخرجكم الرب من هنا. ولا يؤكل خمير. اليوم انتم خارجون في شهر أبيب. ويكون متى أدخلك الرب ارض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التي حلف لآبائك أن يعطيك أرضا تفيض لبنا وعسلا انك تصنع هذه الخدمة في هذا الشهر (الخروج13:1-5)".

المخطط التنفيذي للميثاق .. ورد في التوراة: "ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه. لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لان اسمي فيه. ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادي أعداءك وأضايق مضايقيك. فان ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين. فأبيدهم. لا تسجد لألهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم. بل تبيدهم وتكسر أنصابهم. وتعبدون الرب إلهكم. فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم. لا تكون مسقطة ولا عاقر في أرضك. واكمل عدد أيامك. أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين. وأرسل أمامك الزنابير. فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك. لا اطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية. قليلا قليلا اطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض. واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإني ادفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك. لا تقطع معهم ولا مع ألهتهم عهدا. لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلي. إذا عبدت ألهتهم فانه يكون لك فخا (الخروج20:23-33)".

خلاصة .. أليس هذا هو المخطط التنفيذي للكيان الصهيوني في تهويد فلسطين؟ أليست الصهيونية في التوراة؟

مَن يؤمن بالتوراة ملزم بالإيمان بالصهيونية، ولا يقتصر الإيمان بالتوراة على اليهود فقط بل على المسيحيين أيضا، لأن التوراة جزء من "الكتاب المقدس" كالأناجيل الأربعة تماما. وهذا ما مهد لنشوء الكنائس الصهيونية، الأكثر صهيونية من اليهود الصهاينة. والمسلمون يؤمنون بالتوراة أيضا، وهذا يلزمهم بالإيمان بالصهيونية. وهذا معناه بالمفاهيم السياسية العصرية أن أصحاب الكتب السماوية الثلاثة يؤمنون بحق دولة إسرائيل "دولة عبرية" في العيش بسلام على الأرض الممتدة بين نهر الفرات ونهر النيل. وهذا حق إلهي لا اعتراض عليه.

توضيح .. ذكرت أن المسلمين يعتقدون بتحريف التوراة "الحالية". لو فرضنا أن هذا الاعتقاد صحيح فهل الصهيونية تدخل في نطاق هذا التحريف؟ لم أقرأ قط، ولم أسمع قط، أن أحدا ممَن يُسمون "علماء المسلمين" من أيٍّ من الطوائف "الثلاث وسبعين" وعلى مر التاريخ اعترض على الصهيونية في التوراة. رغم أنهم لم يتركوا موضوعا إلا وحشروا أنفهم فيه، حتى أنهم حددوا بأي قدم يجب الدخول إلى الحائض، وبأي قدم يجب الخروج من الحائض.

Halle an der Saale
2015 - 09 - 16
Germany

Dr. Mahmoud Ezzeldin
E-mail: ezzeldin@gmx.de